[371] وأبو جعفر ليس الرجل الذى ينتظر حتى ينكشف له أمر فيه غرر. بل هو يبتدر الخطر. قال أبو أيوب الجوزى: بعث إلى أبو جعفر المنصور في جوف الليل فدخلت عليه وهو جالس على الكرسي وبين يديه شمعة. وفي يده كتاب. فلما سلمت عليه رمى الكتاب إلى، وهو يبكى، وقال: هذا ابن سليمان (والى المدينة) يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات. فإنا ﷲ وإنا إليه راجعون قالها ثلاثا. ثم قال: وأين مثل جعفر ؟ ثم قال: اكتب. فكتبت صدر الكتاب، ثم قال (اكتب إن كان قد أوصى إلى رجل يعينه فقدمه واضرب عنقه). هكذا يأمر بقتل من يجهله. ويحرمه حق المحاكمة. لمجرد أن من فحوى الوصية لرجل بعينه أنها رسالة للأمة تعلن الإمام الجديد !. لكن اﷲ كف بطش أبى جعفر. فرجع الجواب إليه أن الإمام أوصى إلى خمسة هم: أبو جعفر المنصور وابن سليمان، وعبد اﷲ وموسى وحميدة. والأخيرون ولدا الإمام وزوجه. فليس هنا وصى بعينه. والأولان أبو جعفر ذاته ووالـيه. وليس إلى قتل هؤلاء من سبيل ! وما كانت وصية " الصادق " لأبى جعفر ووالـيه إلا توصية لهما بالأمة. وتذكيرا لهما بأنهما ملاقيا اﷲ مثله. وأبو جعفر أجدر خلق اﷲ بأن يذكره الناس بالموت. وأن يذكروه عند الموت، إن محبين له وإن مبغضين. ولما قرن الإمام أبا جعفر بابنيه وزوجه، كان يذكره أن يخاف اﷲ فيهم وفي ذوى رحمه. * * * كان أبو جعفر يسابق الموت إلى من تتم الوصية إليه وحده. ففوتت عليه وصية الإمام بغيا، لم يمنعه من مقارفته تساقط دمعه، أو أن يسترجع اﷲ مرات ثلاثة، كأنه يجعل الدمع مدادا لأمر يهتبل الفرصة لإصداره، ليقطع رأس إمام جديد من أهل البيت يطاف بها في المدائن. وأنسته شياطين الفزع والطمع، أن يذكر ما علمه الصادق من صلة الرحم. وازداد نسيانا يوم لا أحد ينسى ! _____